

إنّ "التناص" اليوم مثله مثل "بنية" و"بنائي" و"بنوية" هو بالقدر نفسه أداة معرفية *outil conceptuel* و راية، ورواق تأصيلي *épistémique* يدلّ على موقف، وعلى حقل مرجعي وعلى اختيار بعض المراهنات .

وإنّ كان المصطلح، مع ذلك، وباعتباره أداة مفهومية، رواقاً معللاً ومفسراً باستمرار فإنّ مرجعه مبهم أيضاً، لأنّه كثيراً من الجماعات تبنته برؤى هي في بعض الأحيان توفيقية، وفي أحيان أخرى حصرية، وباستخدام هو في بعض الأحيان غائم، وفي أحيان أخرى دقيق .

ويمكن بذلك لاستخدام مصطلح "التناص" مثله مثل استخدام مصطلح "بنية" و"بنوية" أن يدل على ضرب من القاسم المشترك هو في غاية الابدال. ومثلما كتنا نستطيع أن نقول منذ خمس عشرة سنة إنّ كلّ موضوع دراسة (إلا أن يكون عديم الشكل تماماً) له بالضرورة "بنية" وبذلك كان الناس "بنويين" دون أن يعلموا، فإننا نقول اليوم إنّ كلّ "نصّ يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى يتجدّر منذ ذلك في تناص" وإنّ الكلمة هي بالتالي ملك لكل الناس لأنها لا تدلّ على مسلمة من مسلمات الحسن السليم لكلّ دراسة ثقافية (٢) .

إنّ الأمر أكثر تعقيداً، ويبدو لي أنّ المراهنات التي يتضمنها ذات أهمية بالغة، ويعود ذلك بقدر متساو إلى الصيغة الثقافية وإلى ذلك العمل الجماعي في نقد المعرفة وإلى تلك التقاربات التي هي خاصّة روح عصر (Zeitgeist) معلوم، ويجب ذكرها، وإنّ تعرّضنا لخطر الاتهام بالهيجيلية *hegelien* .

لا تسمى قائمة المصادر والمراجع التي أعتمد عليها، والمثبتة في آخر هذه المقالة إلى أن تكون جامعة. سيكون هناك من يتّمها وربما من يضاعفها (٣) ، وضعت فيها العديد من كتاباتي الخاصة، تلك التي تدور حول فكرة التناصية. لأنّه - وما دما لا نحفي شيئاً - ينبغي الاعتراف أنّه ليس لدينا هنا المدى المثالي الزائف للملاحظ